# النزل والمنزلون في السياق القرآني

# Awards and the Awardees in the Context of Quran

د/حافظ محمد بادشاه
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد
د/كفايت الله همداني
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

**Abstract:**

Quran is a supreme and rich literature ever found and studied by human beings. It is the perfect literature that carries Sharia, laws with short and long explanations making a considerable space for scholars to speak and share their views with respect to their specialties. Awards and awardees are two terms used many times in Quran but all the way not in the one context that leads to their multiple explanations.

In this article, we are going to explain the two terms and their respective meanings in the light of scholarly views of classical and modern *Ulema*. There are the results and suggestions at the end of the article.

Key: Awards, Awardees, Nozul, Sharia, Quran

إن معنى النُزل عند اللغويين وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب وامور ومتطلبات الضيافة الاخرى هذا ما دل عليه السياق القرآني بوصفه مصطلحاً، ويتبين لنا ان النُزُل التي سندرسها قد أعطيت للمُنزَلين المتقين عطاء إضافياً زيادة لهم على الأُعطيات التي يأخذونها مع أهل الجنة فكانت هذه العطايا الزائدة المتميزة جزاءً لهم على تميزهم عن غيرهم من عباد الله المؤمنين.

إن ذكر العطايا النُزُل وعداً للمتقين في جنات النعيم ليزيد المؤمن تقوىً لله،وتحملاً لمشاق ومصاعب ومتاعب الدنيا من أجل الحصول على تلك النعم الدائمة في الجنة وأنها لعطايا عظيمة تفوق خيال الإنسان وتفوق كل مُلك من ملك في الدنيا كالأنهار التي ذكرت في سورة سيدنا محمد،ووجدنا كل العطايا جاءت على الحقيقة وهي حقيقة واقعة حتماً في الجنة نسأل الله ألا يحرمنا وإياكم منها، آمين. وقد ورد مصطلح نُزل خمس مرات في القرآن الكريم كعطايا للمتقين.

ولاحظنا أنه يمكن أن يطلق مصطلح نُزُل أيضاً على ما يعطى أهل النار من عذاب كطعامهم وشرابهم من الحميم وذلك على طريقة التهكم والسخرية بهم.

**النُزُل لغةً**

قد ذكر ابن فارس في معجمه "نزل: النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه"[1]

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي:"نَزَلَ فلان عن الدابة أو من عُلْوٍ إلى سفلٍ" [2]وقال الجوهري في الصحاح: "والمنزل بضم الميم وفتح الزاي، الانزال، تقول: انزلني منزلاً مباركاً، والمنزَل بفتح الميم والزاي، النزول وهو الحلول، تقول نزلتُ نزولاً ومنزِلاً" [3] ومكانٌ نَزِلٌ:يُنزَل فيه كثيراً [4] وقال النجار :"والمنزِل : موضع النزول وجمعه منازل" [5]

والنَزلةُ : مرة أخرى من النزولِ،قال"وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى"[6] والنازلةُ : الشديدةُ من شدائد الدهر تنزِلُ بالقوم وجمعها:نوازل [7]

والنُّزُل:"ما يُهيّأ للقوم والضيف إذا نزلوا،والنُّزْلُ: رَيعْ ما يُزرَع" [8] أما الجوهري في الصحاح فجاء نُزْل بتسكين الزاي: ما يُهيأ للضيف وريع ما يزرع أيضاً[9] وإنزالُ القومِ: أرزاقهم[10] والنزيل: الضيف [11] ومعنى أقمت لهم نُزُلَهُم:أي:"أقمتُ لهم غذاءهم وما يصلح معه أن ينزلوا عليه" [12]والنُّزُل في الاصل قرى الضيف... والنُّزُل ايضاً الطعام والرزق وبه فُسر قوله:"هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ" [13]وجمع النُّزُل: الأنزال [14] وقال الشيخ أحمد رضا: النُّزُل ما هيئ للضيف إذا نزل عليه من طعام وشراب وغيره من أسباب الضيافة[15] .

**النُّزُل في الاصطلاح القرآني**

جاء المصطلح [16] نُزُل،نزلاً منقطعاً عن الإضافة سبعة مرات أربعاً لنزل أهل الجنة وثلاثاً لأهل النار، وورد لفظ نُزلهم مضافاً الى الضمير نُزُلاً لأهل النار [17] كما جاء نُزُل في الحديث النبوي الشريف فعن "عوف بن مالك قوله: صلّى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظتُ من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعفُ عنه واكرم نزله ووسع مُدخله" [18]أي: أحسن نصيبه من الجنة.كما قال النبي ﷺ: "من غدا إلى المسجد وراح اعد الله لهُ نُزُله من الجنة كلما غدا او راح" [19]وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في هذا الحديث: "نُزُلاً بضم النون والزاي: المكان الذي يُهيأ للنزول فيه. وبسكون الزاي: ما يُهيأ للقادم من الضيافة ونحوها" [20]

قال الله:"إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ-لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ-أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ -إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ-إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ-طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ-فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ-ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ"[21] وفي قوله تعالى:" إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"اشارة إلى عطايا عظيمة ذكرها ﷻ في الآيات السابقة لهذه الآيات وذلك في قوله:"أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ-فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ- فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ-عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ-يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ -بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ-لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ-وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ -كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ" [22]

ثم بعد ذلك قال:"أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ" [23] أي رزقاً [24] وهو يعني المعادلة بين عطايا المؤمنين في الجنة من دخولهم الجنة وأخذهم الأرزاق والسرور في الجنة وأنواع المآكل والمشارب

والزوجات وبين ما يُعطى أهل النار من أكلهم لشجرة الزقوم وشربهم الحميم والعياذ بالله تعالى وبعفوه، فأصبحت عطايا أهل الجنة هي خلاف عطايا أهل النار.

وجاء مصطلح نزل مرة ثانية في القرآن وهو يتضمن عطايا لأهل الجنة وذلك في قوله:"نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ-نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ" فتضمنت الآية الكريمة كل العطايا والنعم التي تشتهيها الانفس وكل ما يطلبه أهل الجنةِ من الخيرات.

فهاتان الآيتان تتضمنان عطايا ومِنحاً يُعطيها الباري-لأهل الجنة فأصبحتا دليلاً على ان مصطلح نُزُل يعني ما يُعطى أهل الجنة الذين هم ضيوف الرحمن في الجنة فأعطتا المعنى نفسه الذي بينته المعاجم اللغوية وَعَرّفتِ "النُزُل" بأنهُ ما يُهيأ للضيف من طعام وشراب وأسباب الضيافة الأخرى.

كما جاء المصطلح نُزُل ثلاث مرات في القرآن الكريم[25] في ثلاث آيات وتشير هذه الآيات إلى أن الجنة وما فيها هي عطايا من الخالق ﷻ لأهل الجنة تكريماً لهم ورحمة بهم.

الآية الأولى:"لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ" [26]

والآية الثانية:"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا-خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا"[27]

والآية الثالثة:"أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[28]

وجاء مصطلح نُزُلاً ليشير إلى ما يعطى أهل النار من انواع العذاب فسماها نُزُلاً وهي التي تتضمن طعاماً وشراباً لاهل النار، من ذلك قوله:"ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ-لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ -فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ-فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ-فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ-هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ"[29] وهذا من باب التهكم والسخرية بهم.

**دلالة النُّزُل عند المفسرين**

قال:"إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ-لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ-أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ-إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ-إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ-طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ-فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ-ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ" [30]

الزقوم: "زقم: الزاء والقاف والميم أُصيلٌ يدل على جنس من الاكل...الزقمُ :الفعل من اكلِ الزقوم والإزدقام:الابتلاع" [31]

الزقوم:"بلغةٍ افريقية هو الزبدُ بالتمرِ، ولما نزلت آية الزقوم لم تعرفه قريش فسألوا رجلاً من أفريقية فاعلمهم أنه أكل الزبد بالتمر، فقال أبو جهل هاتي يا جارية تمراً وزبداً نزدقمه فجعلوا يتزقمون منه ويأكلونه، وقالوا أبهذا يخوفنا محمد، فبين الله:"إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ-إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ"[32]

والزقم:هو أكلُ التمر والزبد،وقال ابن عباس:"لما نزل قوله:"إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ-طَعَامُ الْأَثِيمِ"[33] قال أبو جهل:التمر بالزبد نتزقمه،فأنزل الله:"إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ-إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ"[34] ومعنى ازقمته الشيء : أي أبلعته إياهُ[35]

يشير بقوله:"أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ"[36]إلى النعيم وهو جزاء من أصلح وأحسن عملاً، ونُزُلاً ما يعد للنازل [37] وجاء على أسلوب التقرير والمراد تقرير قريش والكفار عن الأفضلية في الحالين المذكورين [38]

إنه يقول أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ، خير ضيافة وعطاء"أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ"[39]أي التي في جهنم [40]والرزق المعلوم المشار إليه قبل شجرة الزقوم هو نزل أصحاب الجنة وأصحاب النارِ نُزُلهم شجرةُ الزقوم [41]

وقال مخاطباً عباده المؤمنين:"نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[42]

و نُزلاً نصب على المصدر وقرأ الحسن والمطوعي بإسكان الزاي وهي لغة مبنية على التخفيف [43] إن الملائكة يقولون للمؤمنين نحن نتولى أمركم في الدنيا بكتب أعمالكم. وكذلك في الآخرة، ثم لكم في يوم القيامة عند الله ما تحب لأنفسكم من الطيبات واللذات والشهوات، وقال الإمام الرازي:نُزُلاً والنزل: "رزق النزيل وهو الضيف، وانتصابه على الحال... ودلت فيهذه الآية على أن كل هذه الأشياء المذكورة جارية مجرى النُّزُل، والكريم إذا أعطى النزل فلا بد وأن يبعث الخُلع النفيسة بعدها،وتلك الخُلع النفيسة ليست إلا السعادات الحاصلة في الجنة" [44]

وقال الإمام القرطبي"والنُّزُل ما يُهيأ للنزيل والنزيل: الضيف...قلت: ولعل النُّزُل"[45] كما في رواية الجامع الصحيح عن رسول الله ﷺ في قصة الحبر الذي سأل النبي ﷺ :"أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ هم في الظلمة دون الجسر، قال فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين. قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون. قال فما غذاؤهم على أثرها فقال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال: فما شرابهم عليه؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلا" [46]

**نُزُل وأخواتها في القرآن الكريم**

وردت في القرآن الكريم عدة ألفاظ إذا تمعنّا فيها ونظرنا إلى معانيها وجدناها مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً.

**الأُكُل**

قال:"فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ"[47] قال ابن فارس: أكل: الهمزة والكاف واللام باب تكثر فروعه والأصل كلمة واحدة ومعناها التنقُّص [48]وقال الجوهري: أكل: ثمر النخل والشجر[49] قال الإمام الطبري: أي إنها أضعف ثمرها ضعفين وقال الأكل: هو الثمر تُؤْتِي"أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا"[50] وقال عن قوله:"تُؤْتِي

أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا[51]تطعم ما يؤكل من ثمرها كل حين [52] وقال الإمام ابن عاشور الأُكُل: كل ما يؤكل [53]

**الزاد**

قال:"وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى"[54]قال ابن فارس: زود: الزاء والواو والدال أصل واحد يدل على إنتقال بخير... وهو الطعام يتخذ للسفر[55] قال الإمام لطبري: "نزلت هذه الآية في قوم كانوا يحجون بغير زاد وكان بعضهم إذا احرم رمى بما معه من الزاد واستأنف غيره من الازودة، فأمر الله جل ثناؤه من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره، ومن كان منهم ذا زادٍ أن يحتفظ بزاده فلا يرمي به" [56]

**الطعام**

قال:"فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ" [57]وقال الصعيدي: "طعم: الطاء والعين والميم أصل مطرد منقاسٌ في تذوّق الشيء... وبعض أهل اللغة يقول:الطعام هو البُر خاصةً ثم يحمل على باب الطعام استعارةً." [58] وقال الإمام لقرطبي إن الطعام المقصود به الحنطة وذلك عند تفسيره للآية"فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ[59]

**المتاع**

قال:"بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ" [60] قال ابن منظور:"متع: الميم والتاء والعين أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مُدةٍ في خير والمتعة والمتاع: المنفعة في قوله:"بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ"[61] وأيضاً المتاع: السِلعة [62] وقال الإمام الطبري عن قوله:"فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ" [63]أي منفعة للمسافر [64]وقال الإمام النسفي عن قوله"ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ"[65] أي من الحديد والنحاس والرصاص يُتخذ منها الأواني وما يُتمتع به في الحضر والسفر[66] وقال الإمام البقاعي: أي تتمتعون به من الدراهم والدنانير والسيوف والاواني ونحوها [67] وقال ابن الجوزي:يخرج في معنى المتاع ثلاثة أقوال:"أحدها:الأمتعة التي تباع وتُشترى، وثانيها:القاء الأذى من الغائط والبول،وثالثها:الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد" [68]وقال الإمام ابن عاشور:يأتي المتاع بمعنى:الجهاز من العروض والسلع والرحال [69] وقال الإمام ابن عاشور في تفسيره لقوله"تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ"[70] والامتعة جمع متاع وهو كل ما ينتفع به من عروض وأثاث ويدخل في ذلك ماله عون في الحرب كالسروج ولامةُ الحرب كالدروع والخوذات" [71]

**الميرة**

قال:"وَنَمِيرُ أَهْلَنَا"[72]مير:الميم والياء والراء أصل صحيح هو المَيْر، ومِرْتُ مَيْراً... والميرة الطعام المنقول إلى بلد آخر[73] وقال في الصحاح:"الميرة: هي الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار أهلهُ يميرهم ميْراً، وجمع المائر مُيَّار ومَيّارَ" [74]والميْرُ: جلبُ الطعام للبيع [75]وقال الإمام الطبري عن قول إخوة يوسف:"وَنَمِيرُ أَهْلَنَا" [76] أي نطلب لأهلنا طعاماً فتشتريه لهم [77]وقال الإمام الرازي: يُقال مارهُ يميره ميراً إذا أتاه بميرةٍ أي بطعام [78]والميرةُ الأطعمة التي تحمل من بلد إلى بلد [79]

**المُنزَلون المتقون**

قال أبو الحسن الجرجاني:"التقوى عند أهل الحقيقة: هو الإحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى في الطاعة، يُرادُ بها الاخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر،وقيل:إن يتقي العبدُ ما سوى الله تعالى.... والمتبع عندهم هو الذي اتقى متابعة الهوى، وقيل الاهتداء بالنبي ﷺ قولاً وفعلاً" [80] وقال الفيروز آبادي: التقوى تطلق في القرآن الكريم على ثلاثة أشياء:

**أحدها**:معنى الخشية والهيبة،قال:"وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ"[81] **وثانيها**: بمعنى الطاعة والعبادة،قال:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ" [82] **وثالثها**: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى من دون الأولين، قال:"وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"[83]

وذكر رأياً آخر هو أن حقيقة التقوى عبارة عن امتثال المأمورات واجتناب المنهيات [84] ثم قال: ومنازل التقوى ثلاثة... تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة،وتقوى عن المعاصي الفرعية وقد ذكرها الله تعالى في آية واحدة [85] "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[86]

وروي ابن كثير في تفسيره قول ابن عباس"أن المتقين الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به" [87] وقد ذكر الإمام الرازي: "المتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى، والوقاية فرط الصيانة، ويكون المتقي آتيا بالعبادات محترزاً عن المحظورات، ويدخل في التقوى ايضاً اجتناب الصغائر" [88] وقال سيد قطب:"التقوى حساسية في الضمير وشفافية في الشعور وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوق لا شواك الطريق، طريق الحياة، الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، واشواك المطامع والمطامح، والمخاوف والهواجس" [89]

أما ما يبعث الانسان إلى التقوى فقد أجملها الإمام السيوطي في عشرة أشياء:

خوف جزاء الشر في الدنيا وفي الآخرة، ورجاء جزاء الخير في الدنيا وفي الآخرة، والخوف من حساب الآخرة،والحياء من الله، والشكر على أنعم الله تعالى،والشكر على العلم لقوله:"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء" [90] وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة [91]

**صفات المنزّلين المتقين**

للمنزلين صفات وردت في الآيات التي جاءت نزلاً للمتقين.قال:"الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ"[92] قال ابن الفارس: صبر: الصاد والباء والراء أصول ثلاثة أولها الحبس وهو موضوعنا، يقال صبرت نفسي على ذلك الامر،أي: حبستها[93] وقال الجوهري:"الصبر: حبس النفس عن الجزع وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً...والتَصَبُّر:تكلَّف الصبر" [94] قال الإمام ابن عاشور: ذكر الله في هذه الآية خمسة صفات للمتقين وهي أصول فضائل صفاتهم[95]

**الصفة الأولى**: أن يكون المتقون صابرين، أي: أن المتقين صابرين في قيام الأوامر والوجبات والفرائض، وأن المتقين صابرون في ترك الشهوات والمحظورات،وصابرون في وقت المصيبة والشدة

[96] وقال الإمام البقاعي: الصابرون على مصائب الدنيا وشدائدها، والصبر أمدح أوصاف النفس التي تحبس فيه عن شهواتها، وذلك لإيمانها بالغيب[97]

**الصفة الثانية**:أما الصفة الثانية للمتقين هي الصداقة أي أن المتقين صادقون فالصدق قد يجري على القول والفعل والنية،والصدق هنا عام لكل تقي مؤمن وليس خاصاً بطائفة [98] فالصدق في القول هو مجانبة الكذب، والصدق في الفعل الإتيان به وعدم الانصراف عنه قبل تمامه،والصدق في النية أمضاء العزم عليه حتى يبلغ الفعل [99]وفي عطف الصفات ما يؤذن بكمال الوصف، لان العرب تعطفها اذا كملت وتتبع بعضها بعضاً اذا تركّبت والْتَأَمَت [100]

**والقانتون**: قنت:القاف والنون والتاء أصل صحيح يدل على طاعة وخير في دين،يقال قنتَ يقنتُ قنوتاً... وقيل لطول القيام في الصلاة قنوت [101]والقنوت: الطاعة،والسكوت،والدعاء،والقيام في الصلاة، وأقنَتَ: دعا على عدوّه [102]

**الصفة الثالثة**: وأما الصفة الثالثة للمتقين،كونهم قانتين وهو الدوام على العبادة والمواظبة عليها [103] مع الإخلاص لله في جميع أمورهم [104] ويأتي معنى القانتين،أي:المطيعين لله [105]والقنوت هو ملازمة العبادات في أوقاتها واتقانها وهو عبادة نفسية جسدية [106]

والمنفقون،نفق:"النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، ونفق:فني،والأخرى على إخفاء شيء واغماضه ويهمنا الأول"[107]نفقَ البيع نفاقاً بالفتح أي راجَ، والنِفاق: جمع النفقه من الدراهم، نَفِقَ الزادُ ينفَقُ نفْقَاً أي: نَفِدَ...ورجل منفاقٌ أي كثيرَ النفقةِ [108]

**والصفة الرابعة** للمتقين على كونهم منفقين ويدخل فيه إنفاق المرء على نفسه واهلهِ واقاربه وصلة رحمه في الزكاة والجهاد وسائر وجوه البر [109]ويكون الانفاق في سبيل الله[110] وقال ابن عاشور:"الانفاق هو أصل إقامة أوَد الأمة بكفاية حاجة المحتاجين وهو قربة مالية والمال شقيق النفس" [111]

إن النفقة على الخلق هي علامة الشفقة عليهم لأن من أكرم المنتمي إليك فقد بالغ في إكرامك [112]

وقال تعالى واصفاً المتقين:"الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء"[113]

**السراء:**"السرور:خلاف الحزن،والسرّاء:الرخاء وهو نقيض الضرّاء"[114]وجاء في لسان العرب:"السرّاءُ والسُّرُّ والسرور والمسرَّة كله الفرح"[115]والضَرَرُ: ضد النفعِ [116]والضَّرّاء والضاروراء:القحط والشده والضُّرُّ سوء الحال،وجمعه: أضُرٌّ [117]إن هؤلاء الذين ينفقون في السراء والضراء، أي: في كثرة المال عندهم ونفاده، فعندما طابت قلوبهم فقد استحقوا تلك الجنة التي عرضها السموات والارض [118] حيث كانوا ينفقون في حال الغنى وفي حال الفقر... وقيل : سواء كانوا في سرور او حزن... وانما افتتح الله بذكر الانفاق لانه طاعةٌ شاقة فاصبح في تلك الاوقات الحرجة اشرف الطاعات واصدقها [119]

وقال الإمام ابن عاشور: "والسَّرَّاء فعلاء اسم لمصدر سَرَّهُ سَرّاً وسُروراً، والضراء كذلك من ضَرَّهُ، أي : في حالي الاتصاف بالفرح والحزن" [120]

والمستغفرون "غفر:الغين والفاء والراء عُظْمُ بابهِ السترُ ثم يشذ عنه ما يذكر... والغفران والغفرُ: بمعنىً يقال:غفر الله ذنبه غفراً ومغفرة وغفراناً"[121]وقال الجوهري:"الغَفرُ:التغطية،والغَفرُ:الغُفران...

والغُفرة :ما يُغَطى به الشيء،يقال:اغفروا هذا الامر بِغفرتِهِ أي أصلحوه بما ينبغي ان يُصلح به... ويُقال استغفر اللهَ لذنبهِ ومن ذنبه بمعنىً، فغفر له ذنبه مغفرةً وغفراً وغُفراناً واغتفر ذنبه مثله، فهو غفور والجمع غُفُر" [122]

**والصفة الخامسة**:إن الصفة الخامسة للمتقين هي أن المتقين كانوا مستغفرين بالأسحار،أي قبيل الفجر يصلون ثم يتبعونه استغفاراً ويدعون ربهم [123]يسألونه تعالى المغفرة،أو هي الصلاة [124]وقال الإمام البقاعي عن هذه الصفة: "ولما ذكر هذه الأعمال الزاكيه الجامعة العالية أتبعها الإشارة إلى أن الاعتراف بالعجز عن الوفاء بالواجب هو العمدة في الخلاص. فالتجؤوا إليه سبحانه بالاستغفار، أي: من نقائصهم مع علو همتهم بالأعمال التي قاموا بها" [125]

والأسحار:"سحر: السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة أحدها وقت من الأوقات، السَّحْرُ والسُحْرةُ وهو قبل الصبح، وجمع السَّحْر أسحار" [126]

"والسَّحَرُ والسَحَرَةُ: اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار، والمسْحِرُ: الخارجُ سحراً" [127] و الأسحار التي هي اشق الأوقات استيقاظاً عليهم واحبها راحة لديهم، وأولاها بصفات القلوب، وأقربها إى الإجابة... ثم يظهر أن هؤلاء وصلوا إلى درجة أنهم يستغفرون من أعمالهم الصالحة كما يستغفر المسيء من سيئته وذلك تَبرُّءاً من دعوى الأفعال ورؤية الأعمال التي قد تكون أو تؤدي بهم إلى الرياء المُحبِط للعمل [128] لأن السحْر من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني،وقيل هو سدس الليل الأخير [129]ثم وصفهم ﷻ بأنهم:"وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [130]قال ابن فارس:"كظم: الكاف والظاء والميم أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الامساك والجمع للشيء، من ذلك الكظم:اجتراعُ الغيظ" [131]وقال الجوهري في الصحاح "كَظَم: غيظَهَ كظما: اجترعه، فهو رجل كظيم والغيظ مكظوم، والكظيم: غَلَق الباب. والكَظوم: السكوت، وقوم كُظُم: أي ساكتون" [132] ويقال كظم القِربةَ: ملأها وسد رأسها... ومن المجاز كَظمُ الغيظِ وعلى الغيظ وهو كاظم [133]

والغيظ:"الغضب،وقيل:الغيظُ غضبٌ كامنٌ للعاجز، وقيل: هو اشد من الغضب،وقيل: هو سورَتُهُ واوَّلُهُ،وغِظتُ فلاناً اغيظُهُ غَيظاً وقد غاظه فاغتاظ وغيّظه فتغيَّظ وهو مغيظ" [134]ويقال غاظني يَغيظُني وقد غِظتني يا هذا،ورجل غائِظ وغَيّاظ [135]أما وصفه سبحانه لهم بأنهم:"وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ" فيعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه... وكاظم غيظه، أي: يمنع نفسه من أن تُنفِّذَ ضدَّ عدوهِ شيئاً وانتقاماً جراء تصرّف ذلك الشخص ضده،واخذِ الحق ممن ظلمه سواء بالكلام أم بالفعل [136]

وقال الإمام بن عاشور:"وكظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه،وهو مأخوذ من كظم القربةَ إذا ملأها وأمسك فمها... فهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء،ولا شك في أن أقوى القوي تأثيراً في النفس القوة الغاضبة فتشتهي إظهار الغضب، فاذا استطاع إمساك مظاهرها مع الإمتلاء منها، دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوي الأخلاق الفاضلة" [137]

العافون:"عفو:العين والفاء والحرف المعتل اصلان يدل أحدهما على ترك الشيء والآخر على طلبه ... فالعفو:عفو الله تعالى عن خلقه،وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه"[138]وقال الجوهري في الصحاح:"العَفو:الارض الغُفلُ التي لم توطأ وليست لها آثار، وكذلك العَفا بالفتح والقصر، وعَفْوُ المال ما يفضل من النفقة"[139] وقوله:"وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ"فإنه يعني:"والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم" [140]

المحسنون:حسن: الحاء والسين والنون اصل واحد، والحسن ضد القبح، يقال: رجل حسن وامرأة حسناء وحسّانة[141]وحسّنتُ الشيء تحسيناً:زينته واحسنت اليه وبه [142]وقوله:"وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" أي يثيبهم على إحسانهم،قال سري السقطي الاحسان: أن تحسن وقت الإمكان فليس كل وقت يمكنك الإحسان" [143] والمحسنون يحتمل الجنس فيدخل تحته من اتصف بهذه الصفات العظيمة [144] وبجماع هذه الصفات كمل الاحسان ولذلك ذيَّل الله تعالى ذكرها بقوله:"وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"لأنه دال على تقدير أنهم بهذه الصفات محسنون والله يحب المحسنين.

ثم وصفهم ﷻ بصفة وهي دالة على عُلُو همتهم وإخلاصهم له فقال[145]:"كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ"[146]

الهجوعُ:النومُ، والتَهْجاعُ:النومةُ الخفيفةُ"وهجيعٌ من الليل وبعد هدأة من الليل مثل هَزيعٍ، وهَجَّعَ القومُ تهجيعاً أي نَوّموا... والهِجعةُ منه كالجِلسة من الجلوس، ويقال: رجلٌ هُجَعةٌ مثال هُمَزة. وهُجَعٌ ومِهجَعٌ للغافل عما يراد بهِ الأحمقُ، واصله من الهجوع"[147]وجاء في لسان العرب: "هَجَعَ يهجَعُ هُجُوعاً نام بالليل وقد يكون الهجوع بغير نوم، وقومٌ هُجّعٌ وهُجوعٌ ونساءٌ هُجَّعٌ وهجوعٌ وهواجع وهواجعات جمع الجمع" [148]قال الإمام الطبري: "قال بعضهم معناه كانوا قليلاً من الليل لا يهجعون، وقالوا ما بمعنى الجحد، أي: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ما بين المغرب والعشاء" [149]وقال الإمام الرازي: قليلاً منصوب على الظرف، تقديره: يهجعون قليلاً، تقول قام بعض الليل، فتنصب بعض على الظرف وخبر كان هو قوله:"يَهْجَعُوْنَ"ومازائدة [150]وقيل: كانوا قليلاً ومعناه نفي النوم عنهم [151] وقيل:يحتمل أن يكون قليلاً صفة مصدر،تقديره: يهجعون هجوعاً قليلاً. ونذهب إلى ما ذهب إليه الإمام البقاعي من أن ماجاءت توكيداً وتثبيتاً للمعنى وليست زائدة، حيث قال: وأكد المعنى بإثبات ما فقال تعالى:"مَا يَهْجَعُوْنَ"أي يفعلون الهجوع وهو النوم الخفيف القليل...لأن الجملة تثبت هجوعهم وهو النوم للراحة وكسر التعب [152]وجملة" كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ"[153]بدل من جملة"كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ"[154]بدل بعض من كل، لأن هذه الخصال الثلاث هي بعض من الاحسان في العمل[155]"وهذا كالمثال لأعظم إحسانهم فإن ما ذكر من أعمالهم دال على شدة طاعتهم لله ابتغاء مرضاته ببذل اشد ما يبذل على النفس وهو شيئان:

**أولهما**:راحة النفس في وقت اشتداد حاجتها إلى الراحة وهو الليل كله وخاصة آخره...

**وثانيهما**:المال الذي تشح به النفوس غالباً. وقد تضمنت هذه الأعمال... أصْلَي إصلاح النفس وإصلاح الناس...ففي قيام الليل اشارة إلى تزكية النفس باستجلاب رضى الله تعالى" [156]

الهوامش والمصادر

[1] معجم مقاييس اللغة لابن فارس،ص417/5

[2] العين للخليل بن احمد الفراهيدي،ص367/7

[3] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لاسماعيل بن حماد الجوهري،ص1828/5

[4] معجم مقاييس اللغة،ص417/5

[5] معجم ألفاظ القرآن للنجار،ص102/6

[6] النجم:13/53

[7] معجم ألفاظ القرآن للنجار،ص367/7

[8] العين للخليل،ص367/7

[9] الصحاح،ص1828/5

[10] تهذيب اللغة،ص210/13

[11] المعجم الوسيط لأحمد حسن الزيات،ص/915

[12] تهذيب اللغة،ص210/13

[13] الواقعة:56/56

[14] الصحاح،ص1828/5

[15] معجم متن اللغة،ص442/5

[16] المصطلح اللغوي في القرآن الكريم بحث،د.محيي الدين توفيق ، مجلة المجمع العلمي العراقي ص4، عدد37،ك/1، 1986م

[17] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،محمد فؤاد عبد الباقي،ص921

[18] صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي،ص662/2

[19] صحيح البخاري، عمر بن إسماعيل البخاري،ص151/1

[20] فتح الباري،ص193/2

[21] الصافات:37/ 60-67

[22] الصافات:37/41-49

[23] الصافات:62/37

[24] تفسير غريب القرآن لابن قتيبة،ص371

[25] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،ص921

[26] آل عمران:3/ 198

[27] الكهف:18/107-108

[28] السجدة:41/19

[29] الواقعة:56/51-56

[30] الصافات:37/60-67

[31] معجم مقاييس اللغة،ص16/3

[32] الصافات:37/64-65

[33] الدخان:44/43-44

[34] الصافات:37/64-65

[35] معجم مقاييس اللغة،ص1942/5

[36] الصافات:37/62

[37] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد البغدادي،ص19/4

[38] المحرر الوجيز لابن عطية،ص1578

[39] الصافات:37/62

[40] تفسير القرآن العظيم لابن كثير،ص11/4

[41] إرشاد العقل السليم،ص327/5

[42] فصلت:/32

[43] الميسر في القراءات الأربع عشرة لمحمد فهد خاروف،ص76

[44] التفسير الكبير،ص560/9

[45] الجامع لأحكام القرآن،ص205/4

[46] صحيح مسلم،ص252/1،برقم 315

[47] البقرة:265/2

[48] معجم مقاييس اللغة،ص122/1

[49] الصحاح،ص1624/4

[50] جامع البيان،ص64/8

[51] إبراهيم:25/14

[52] جامع البيان،ص123/13

[53] التحرير والتنوير،ص119/8

[54] البقرة:197/2

[55] معجم مقاييس اللغة،ص36/3

[56] جامع البيان للطبري،ص336/2

[57] البقرة:184/2

[58] الإفصاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي،ص186

[59] البقرة:184/2

[60] النور:29/24

[61] النور:29/24

[62] لسان العرب،ص333/8

[63] النور:29/24

[64] جامع البيان،ص137/18

[65] الرعد:17/13

[66] مدارك التنزيل وحقائق التأويل،ص182/1

[67] نظم الدرر،ص316/10

[68] زاد الميسر لابن الجوزي،ص992

[69] التحرير والتنوير،ص202/18

[70] النساء:102/4

[71] التحرير والتنوير،ص187/5

[72] يوسف:65/12

[73] معجم مقاييس اللغة،ص289/5

[74] الصحاح،ص821/2

[75] لسان العرب،ص188/5

[76] يوسف:65/12

[77] جامع البيان،ص16/13

[78] التفسير الكبير،ص480/6

[79] روح المعاني،ص19/7

[80] التعريفات،ص58

[81] البقرة:41/2

[82] آل عمران:102/3

[83] النور:52/24

[84] دليل الفالحين شرح رياض الصالحين،ص246/1

[85] بصائر ذوي التمييز،ص257/5

[86] المائدة:5/ 93

[87] تفسیر القرآن العظیم لأبن کثیر،ص40/1

[88] التفسیر الکبیر،ص267/1

[89] في ظلال القرآن،ص39/1

[90] الفاطر:28/35

[91] معترك الاقران،ص356/2

[92] آل عمران:17/3

[93] معجم مقاییس اللغة،ص329/3

[94] الصحاح،ص706/2

[95] التحریر والتنویر،ص185/3

[96] الجامع لأحکام القران،ص29/4

[97] نظم الدرر،ص281/4

[98] الجامع لأحکام القران،ص25/4

[99] التفسیر الکبیر،ص166/3

[100] نظم الدرر،ص284/4

[101] معجم مقاییس اللغة،ص31/5

[102] القاموس المحیط،ص155/1

[103] التفسیر الکبیر،ص166/3

[104] نظم الدرر،ص284/4

[105] الوجوه والنظائر،ص6

[106] التحریر والتنویر،ص189/3

[107] معجم مقاییس اللغة،ص454/5

[108] الصحاح،ص1560/4

[109] التفسیر الکبیر،ص166/3

[110] الجامع لأحکام القرآن،ص25/4

[111] التحریر والتنویر،ص185/3

[112] نظم الدرر،ص274/4

[113] آل عمران:134/3

[114] الصحاح،ص683/4

[115] لسان العرب،ص361/4

[116] لسان العرب،ص483/4

[117] المصدر نفسه

[118] التفسير الكبير،ص366/3

[119] المصدر نفسه

[120] التحرير والتنوير،ص91/4

[121] معجم مقاييس اللغة،ص385/4

[122] الصحاح،ص770/2

[123] التفسير الكبير،ص167/3

[124] الجامع لأحكام القران،ص25/4

[125] نظم الدرر،ص284/4

[126] معجم مقاييس اللغة،ص138/3

[127] مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني،ص401

[128] نظم الدر،ص284/4

[129] الجامع لأحكام القران،ص26/4

[130] آل عمران:3/ 134

[131] معجم مقاييس اللغة،ص184/5

[132] الصحاح،ص2022/5

[133] أساس البلاغة،ص545

[134] لسان العرب،ص450/7

[135] معجم مقاييس اللغة،ص405/4

[136] جامع البيان،ص119/4

[137] التحرير والتنوير،ص91/4

[138] التحرير والتنوير،ص56/4

[139] الصحاح،ص2432/6

[140] جامع البيان،ص119/4

[141] معجم مقاييس اللغة،ص57/2

[142] الصحاح،ص2099/5

[143] الجامع لأحكام القرآن،ص133/4

[144] تفسير البيضاوي،ص93/2

[145] التحرير والتنوير،ص92/4

[146] الذاريات:17/51

[147] الصحاح،ص1305/3

[148] المصدر نفسه،ص367/8

[149] جامع البيان،ص229/26

[150] إرشاد العقل السليم،ص135/6

[151] التفسير الكبير،ص166/10

[152] إرشاد العقل السليم،ص135/6

[153] الذاريات:17/51

[154] الذاريات:16/51

[155] التحرير والتنوير،ص349/26

[156] المصدر نفسه،ص349/26